جوانب من الحياة الاجتماعية في عصر الرسالة الإسلامية .

نجلة قاسم الصباغ
دمشق

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

مقدمة : ـ

يقدم هذا البحث دراسة عن بعض نواحي الحياة الاجتماعية عند العرب في عهد النبي صلى الله عليه وسلم. وقد اخترت جوانب معينة من الحياة الاجتماعية للسكان وهي الاطعمة والالبسة ومظاهر الزينة ـ في ذلك المجتمع ـ كما توخيت التحديد الزمني في بحث الموضوع بحيث لايتعدى الفترة الزمنية التي تلته ، ودراسة هذه النواحي من حياة الشعب العربي توضح لنا جوانب من الحضارة العربية في تلك الفترة المهمة من تاريخ العرب السياسي ومدى تطورها وتأثرها بالجوانب السياسية والدينية التي رافقتها حينئذ فكل شعب من الشعوب يأكل ويلبس ،ولكن هناك تفاوت نسبي بين ناس وآخرين تحددها الظروف المختلفة والمؤثرة.

وعلى الرغم مما أوردته المصادر التاريخية من ان العرب لايهتمون بالمطاعم والالبسة ،وان اهتمامهم انصب بالمبادئ والقيم ودراسة الانساب والبلاغة فاننا رأينا ان العرب لم يختلفوا عن غيرهم من الشعوب في تلك الفترة الزمنية في معايشهم ومآكلهم وملابسهم، اخذين بنظر الاعتبار ظروف الدعوة الاسلامية المؤثرة على هذه الجوانب بصورة نسبية وظروف الحياة المادية التي فرضت عليهم نتيجة المقاطعة والهجرة إلى المدينة والجهاد في سبيل الله . وقد قسمت البحث إلى ثلاثة فصول ، يشمل الفصل الاول منه دراسة عن طبيعة الاطعمة وانواعها والاوعية المستخدمة منها .

اما الفصل الثاني فيشمل بحثا في ملابس الرجال واخر في ملابس المرأة العربية ،ويشمل الفصل الثالث دراسة عن مظاهر الزينة عند الرجل والمرأة في ذلك المجتمع .

الفصل الأول

الاطعمة

قبل البحث عن طبيعة وانواع الاطعمة التي سادت في عصر الرسالة لابد لنا من نظرة عابرة عن الاطعمة العربية قبل الاسلام، حيث تؤكد لنا الروايات التاريخية أن العرب اتجهوا إلى البساطة في تدبير مأكولاتهم التي تتكون في الغالب من لحوم الصيد والسويق والالبان واحسن اللحوم عندهم هي لحوم الابل (١).

اما اهم تركيب اطعمتهم فكانت من الدقيق واللبن والسمن ولها اسماء متعددة مثل السخينة والحريقة ، والصحيرة، والصديرة، والعكيسة، والعريقة، والرغيدة، والرهية، والوليقة ، والرغيفة، والربيكة، والبكيلة وغيرها.

واذا اضيف اللحم المقطع إلى الدقيق فيدعى الناتج المطبوخ بالخزيرة (٢).

ولاتعرف العرب التفنن في صنع المآكل فقد ذكرى ان عبدالله بن جدعان عندما رأى الفالوذج عند كسرى اتباع غلاما يصنعه له في مكة (٣) اما الانية التي يستخدمها الناس في طعامهم فنلاحظ انها تتفاوت وفق سعتها للطعام واصغرها للصحفة التي تشبع للرجل

---

(١) الآلوسي – بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب ج١ ص ٣٨٠

(٢) نفس المصدر ج ١ ص ٣٨٣

ابن منظور – لسان العرب ج ١٣ ص٢٠٦

السخينة – طعام يتخذ من دقيق وسمن ويكون حار غالباً ج ١٣ ص٢٠٦

الخزيرة – وهو الماء يغلى ثم يذر عليه الدقيق ويكون أغلظ من الحساء ابن منظور – لسان العرب ج١٠ ص٤٢

الصحيرة – يغلى اللبن الحليب ثم يصب عليه السمن ج٤/ص٤٤٤

العكيسة – قيل أنه الدقيق يصب عليه الماء ويشرب ج٦ ص ١٤٥

الرغيدة – وهو اللبن الحليب يغلى ثم يصب عليه الدقيق حتى يختلط ج٣ ص ١٨٠

الرهية – هو بر يطحن بين حجرين ويصب عليه اللبن ابن منظور ج ١٤ ص ٣٤٥

الوليقة – طعام يتخذ من دقيق وسمن ولبن ابن منظور ج١٠ ص ٣٨٥

الربيكة – من الأقط والتمر والسمن ويعمل رخواً ابن منظور ج١٠ ص ٤٣١

البكيلة – الأقط المطحون تخلطه بالماء وقيل طحين وتمر يخلط ويصب عليه الزيت أو السمن ولا يطبخ ابن منظور ج١١ ص٦٢

(٣) الآلوسي – بلوغ الارب ج١ ص ٣٨١

الواحد والمكتلة التي تشبع الرجلين والثلاثة ثم القصعة لاربعة وخمسة انفار والجفنة لسبع إلى عشرة اشخاص وكان الاناء المسمى الدسيمة هو اكبرها (١) .

تمتاز اطعمة العرب في فترة صدر الاسلام بأنها امتداد لما كانت عليه فيما قبله — عصر ماقبل الاسلام — من حيث النوعية ، فهي بسيطة وخالية من التفنن والتلون ، ولعل سبب ذلك هو طبيعة العربي الفطرية في البساطة ثم عدم الاختلاط بامم اخرى إلى جانب انشغال العرب في هذه الفترة —عصر الرسالة — بامور الدعوة الاسلامية وفقدان الاستقرار ومن ثم عدم التفرغ لهذا الجانب من جوانب الحياة الاجتماعية .

ونستعرض الان اهم المأكولات السائدة في هذا العصر وحسب اهميتها في المجتمع العربي حينئذ .

ويأتي في المقدمة عادة الخبز واغلب المصادر تذكر لنا ان خبز الشعير كان سائدا في ذلك المجتمع (٢) حيث يروي قتادة بن نعمان (٣) ان الناس في المدينة كان طعامهم التمر والشعير، فهو يشير إلى ان هاتين المادتين تؤلفان مادة رئيسية في تغذية السكان، اما الدقيق النقي الذي يصنع منه المرقق من الخبز فقد كان نادرا (٤) الا بعض الاغنياء من الناس الذين كانوا يبتاعونه (الدقيق الابيض) من تجار الانباط القادمين من الشام ويصنعون منه الخبز المرقق (٥) كما كانوا يدعونه .

ويعتبر اللحم من الاطعمة الرئيسية وخاصة لذوي اليسار من الناس ويأتي عن طريق الشراء أو الصيد، وقد جاء في الروايات ان احب الطعام إلى رسول الله (ص) اللحم (٦) كما جاء عنه قوله (ص): (اذا اشترى احدكم لحما فليكثر مرقته فأن لم يجد لحما اصاب مرقة وهو احد اللحمين) (٧) ويبدوا ان حالة السكان المعاشية حينئذ لاتساعدهم على

---

(١) الالوسي — بلوغ الارب ح١ ص ٣٨٧
(٢) البخاري — الصحيح ح٧ ص ١٠٢
الاصبهاني — حلية الاولياء ح٦ ص ٣٣٩
(٣) ابن الاثير — اسد ح٢ ص١٨، البلاذري — انساب ح١ ص ٢٧٨
(٤) البخاري — الصحيح ح٧ ص٩١
(٥) البلاذري — انساب ح١ ص٢٧٨
(٦) الابشيهي — المستطرف ح١ص٢١١
(٧) الترمذي — السنن ح١ ص٣٣٧

الحصول على اللحوم بصورة كافية كمادة غذائية رئيسية ، فلحوم الميتة كانت سائدة قبل الاسلام فحرمت بعده (١) كما حرمت لحوم الحمر الاهلية (٢).

اما انواع اللحوم التي كان يتناولها السكان في هذه الفترة فمنها لحوم الشاة ٣)ولحوم الدجاج(٤) ولحوم للطيور الاخرى (٥) ولحوم الارانب (٦) ولحوم الظباء (٧) ، وبطبيعة الحال كانوا يصنعون مطاعمهم من هذه اللحوم، واهم ماكانوا يصنعونه القديد الذي كانوا يعملونه من لحوم الضحايا (٨) ، والثريد (٩) والخزيرة (١٠)وقد يطبخ السلق مع القديد (١١) كما يطبخ الدباء والقرع مع اللحم (١٢) او تضاف الحنطة المطحونة مع اللحم فيسمى الطعام المطبوخ بالحشيشة (١٣) وكان بعض الفقراء من الناس ممن لايستطيعون الحصول على اللحوم في مآكلهم فمنهم من كان يطبخ السلق مع اضافة الشعير اليه (١٤) وهناك نوع من المرق يدعى الطفيشل ورد عن الرسول (ص) انه كان يفضله كثيرا وكذلك الهريس (١٥) والمضيرة وهو طعام يطبخ باللبن الحامض (١٦).

---

(١) ابن الاثير – اسد الغابة ح٢ ص ٦٧

(٢) ابن هشام – السيرة ح٣ ص ٣٤٥

(٣) ابن هشام – السيرة ح٣ ص ٢٢٩
البخاري – الصحيح ح٧ ص٩٠

(٤) الترمذي – السنن ح١ ص٣٣٦

(٥) الاصبهاني – حلية الاولياء ح٦ ص٣٣٩

(٦) ابن الاثير – اسد ح٣ ص ٢٣ (ترجمة صفوان بن عبدالله)

(٧) البخاري – الصحيح ح٧ ص٩١، ٩٢

(٨) ابن الاثير – اسد الغابة ح٢ ص ١٠١

(٩) ابن الاثير – اسد الغابة ح٤ص٤ (ترجمة عكرشة بن ذؤيب) وهو الخبز يبل بالمرق واللحم

(١٠) البخاري – الصحيح ح٧ ص٩٤ والخزيرة تصنع من النخالة ،أو الدقيق مع اللحم الناضج
ابن الاثير – أسد الغابة ح٣ ص ٣٥٩

(١١) احمد بن حنبل – المسند ح ٤ص١٥ – ١٦ وهو أن يشرح اللحم ويعدد

(١٣) البخاري – الصحيح ح٧ ص ٨٩ وص ١٠١

(١٣) الاصبهاني – حلية الاولياء ح١ ص ٣٧٤

(١٤) البخاري – الصحيح ح٧ ص٩٥

(١٥) البلاذري – أنساب ح١ ص ٢٦٧
ابن سعد – الطبقات ح٨ ص ٣٠٣

(١٦) الثعالبي – لطائف المعارف ص١٦

ومن الاغذية الرئيسية الاخرى التمر فقد ورد عن مالك بن اوس (وهو احد الصحابة) قوله: « ... وطعامنا يومئذ البر والتمر والزبيب».

والأقط (١)وكان يؤكل كوجبة غذائية لدى بعض الناس(٢) كما كان يقدم في الولائم حيث كانت وليمة صفية بنت حي حين تزوجها الرسول (ص) التمر والأقط والسمن(٣) ولابد ان كثير من الناس كان امرهم كذلك .

اما الخل فكان يستخدم كادام مع الطعام (٤) :

اما بعد وجبة الغذاء فكان غالبية الناس يشربون اللبن (٥) ويأكلون الحلواء والعسل (٦) ، اما للفواكه السائدة في ذلك المجتمع فهي القثاء بالرطب والبطيخ بالرطب (٧) وكان الرطب والتمر بانواعه المختلفة اهم فاكهة للسكان (٨):

وكان هناك اطعمة خاصة بالمناسبات قد تعارف عليها القوم فمثلا عندما يولد الغلام يقوم اهله بصنع طعام يدعى العقيقة (٩) وعندما يتزوج الرجل يقيم وليمة للناس من معارفه يتفاوت مستواها وفق مقدرة الناس المادية فالرسول (ص) كما ذكرنا كانت وليمته حين

---

(١) ابن الاثير – اسد الغابة ح١ ص ١٤٢

(٢) ابن حنبل – المسند ح٤ ص ١٩
ابن هشام – السيرة ح٣ ص ٢٢٩
الاصبهاني – حلية الاولياء ح٣ ص ١٤٧

(٣) البخاري – الصحيح ح٧ ص ٩٤

(٤) الترمذي – السنن ح٨ ص٣٣

(٥) الاصبهاني – حلية الاولياء ح١ ص ٣٧٣ – ٣٧٤

(٦) الترمذي – السنن ح٨ ص ٢٦
البخاري – الصحيح ح٧ ص ١٠٠

(٧) البخاري – نفس المصدر ح٧ ص ١٠٢
الترمذي – السنن ح٨ ص ٣٤
الاصبهاني – حلية الاولياء ح٨ ص ١٧١

(٨) ابن الاثير – اسد الغابة ح ٤ص٤

(٩) البخاري – الصحيح ح٧ ص ١٠٩
والعقيقة – هي الشاة التي تذبح عن المولود يوم اسبوعه
الجوهري – الصحاح في اللغة والعلوم المجلد الثاني ص ١٤٠ .

تزوج صفية من التمر والاقط والسمن (١) وعندما تزوج زينب ، عمدت ام سليم (احدى نساء المسلمين) إلى تمر وسمن وأقط وصنعت منه حيسة في برمة وارسلتها إلى الرسول (ص) فدعا اليها الناس(٢) ، كما أولم علي بن ابي طالب بكبش حين تزوج فاطمة(٣) وكانت الادوات المستخدمة في الطعام بسيطة ، ومن اهمها السكين ، وقد روى عن الرسول (ص) انه اول من سماها سكينا وكانت تسمى المدية قبله (٤) وكانت تستخدم لتقطيع اللحم غالبا ولايرد في المصادر ذكر للملاعق ، ويبدو ان القوم كانوا يأكلون بأيديهم وكانوا يطبخون في القدور (٥) ويضعون الطعام في انية يدعى احدها القصعة (٦) او الجفنة التي يوضع فيها الثريد والطبق الذي يوضع فيه الفواكه كالرطب وغيره (٧) ، اما العسل والسمن فيوضع في اواني خاصة يدعى احدها للعكسه (٨) .

وكانوا يشربون الماء في اقداح من فخار (٩) او من الخشب حيث روى لنا همام بن زيد (احد الصحابة) قوله ان رسول الله (ص) : (اعطاني مشربة من خشب فكان الناس يشربون منه) (١٠) .

(١) البخاري – الصحيح ح٧ ص ٩٤
(٢) ابن سعد – الطبقات ح٨ ص٧٣ – ٧٤
( ) نفس المصدر ص ١٢ – ١٣
(٤) البخاري – الصحيح ح٧ ص ٩٦
ابن رستة – الاعلاق النفسية ص ١٩٦
(٥) البخاري – الصحيح ح٧ ص ٩٥ باب السلق والشعير
(٦) نفس المصدر والجزء ص ١٠٢ باب المرق
(٧) ابن الاثير – اسد الغابة ح٤ ص ٤ ترجمة عكرشة
(٨) البخاري – الصحيح ح٧ ص ١٠٠
ابن الاثير – اسد الغابة ح ٢ ص ٤٥
(٩) نفس المصدر السابق ح٢ ص ١٠١ ترجمة جناب ابو السائب
(١٠) ابن الاثير – اسد الغابة ح٥ ص ٧٠

الفصل الثاني

الألبسة

الألبسة الرجالية :-

عند دراسة البسة الناس في عصر الرسول (ص) نرى انها امتداد لما كانت عليه في عصر ماقبل الاسلام مع بعض التطور الذي فرضته الظروف الجديدة :

ففي مجال الالبسة الرجالية يبدو لنا التنوع والتعدد مما يدل على اهتمام الناس بألبستهم بالرغم مما ساد العصر من انخفاض في المستوى المعاشي فرضته الظروف السياسية والدينية من جهاد ومقاطعة وهجرة وحروب في سبيل الدعوة الاسلامية :

ونرى ان الرسول (ص) كان ينصح الناس بالاهتمام في البسهم، فقد روى عنه ان رجلا اتاه في ثوب دون فقال له: (ألك مال قال نعم من كل مال::: قال فإذا ماتاك الله مالافلير عليك اثر نعمة الله وكرامته) (١) وترد لدينا كثيرا من الروايات التي تدل على ان الرسول (ص) كان يرتدي الثياب اذا توفرت لديه وكذلك الصحابة .

ونبدأ بدراسة عن البسة الراس في هذا العصر الذي كانت فيه العمائم الالبسة الرئيسية للرأس فيه وخاصة المسلمين منهم فقد روى عن النبي (ص) قوله :(...فأن العمائم سيما الاسلام وهي حاجز بين المسلمين والمشركين (٢) وكان غالب الناس يلبسونها ويرخونها بين الاكتاف وهو ماكان يفعله الرسول (ص) ايضا (٣) .

اما انواعها فتشير الروايات ان الرسول (ص) حين دخل مكة فاتحا كان عليه عمامة سوداء تسمى السحاب (٤) واهداه عبد الرحمن بن عوف عمامة سوداء (فأرسلها الرسول بين كتفيه قدر شبر وقال هكذا اعتم (٥) وكان على الزبير بن عوام يوم بدر عمامة

---

(١) النسائي – السنن ح٨ ص ١٧٣

(٢) ابن الاثير – اسد الغابة ح٣ ص ١٤

(٣) الترمذي – السنن باب سدل العمامة ح ٧ص ٢٤٣
ابن الاثير – اسد الغابة ح٤ص ١٦٠ عويمر بن عامر

(٤) النسائي – السنن ح ٨ ص ١٨٧، اليعقوبي– تاريخ ح ١ ص ٧١ – ٧٢

(٥) الابشيهي – المستطرف ح٢ ص

صفراء(١)، ولبس البعض العمائم الحرقانية (٢) :

وجاء في بعض المصادر ذكر العمائم العدنية (٣) ولعلها نسبة إلى عدن التي كانت تستورد منها :

ومن لبسة الرأس الاخرى القلانس، وتلبس تحت العمائم، او تلبس كل منها بغير الاخرى ايضا، وقد روى ان قلانس الصحابة كانت لازقة بالرأس (٤) وقد كانت القلانس اليمانية بيضاء وتدعى المضرية، وهناك الحبرات، وقد لبس الرسول (ص) قلانس ذات اذان في السفر (٥).

ومن خلال البحث إلى لبسة الناس بصورة عامة نرى انها تقسم إلى قسمين المقطع وغير المقطع والاول هو كل مايفصل ويخيط مثل القمصان والجباب والسراويل، اما غير المقطع فيشمل الازر والمطارف والربط .

وفي مقدمة الالبسة المعروفة لدى العرب هو الإزار ،وقدقيل قديما ان :(الاقبية لباس الفرس والقراطق لباس الهند والإزار لباس العرب((٦) وهو ثوب غير مقطع وقد وردت عدة روايات عن الرسول (ص) تؤكد فيها على المسلمين بعدم جعل الازار طويلا وان يكون موضعه إلى انصاف الساقين لكي لايجر المرء ثوبه خيلاء (٧) . وذلك ان الرجال في عصر ما قبل الاسلام كانوا يفتخرون بارسال ذيول ازرهم ويعتبرون ذلك من علامات السيادة والقوةوالكبرياء. وهناكروايات تؤكد لنا ان العديد من الناس كانوا يرخون الازار إلى الكعبين (٨) .

---

(١) نفس المصدر

(٢) النسائي – السنن ح٨ ص١٨٧ وهي على مون ماتحرقه النار

(٣) ابن الاثير – اسد الغابة ح٤ ص ٢٩٤

(٤) الديار بكري – تاريخ الخميس ح٢ ص ١٩٠

(٥) نفس المصدر – والصفحة

(٦) الابشيهي – المستطرف ح٢ ص ٢٧

(٧) الترمذي – السنن ح٧ ص ٢٣٦
النسائي – السنن ح٨ ص ١٨٢

(٨) ابن الاثير – اسد الغابة ح٢ ص ١٩٠

ومن الالبسة الاخرى غير المقطعة الرداء، وكان يرتديه كثير من الناس ولعله كان يلبس فوق الالبسة الاخرى (١) ويبدو ان هذا النوع من الالبسة ترك في العصر الاموي حيث نرى عمر بن عبد العزيز يسأل السائب بن يزيد بقوله (ياسائب هل رأيت احد من اصحاب رسول الله (ص) يأتزر بالرداء او يرتدي الرداء ثم يخرج؟ قال نعم قال – لو صنع ذلك احد اليوم لقيل مجنون) (٢).ويأتي القميص في مقدمة الالبسة المخيطة او المقطعة، روى عن ام سلمة قولها (كان احب الثياب إلى النبي (ص) القميص) (٣) كما كان يرتديه الصحابة ايضا (٤) وقيل ان القميص كان قصير الطول قصير الكمين ، فقميص الرسول (ص) كان كمه إلى الرسغ (٥) :

ومن الالبسة الرئيسية المقطعة السراويل وتسمى في بعض الاحيان رجلي سراويل لانها من لباس الرجلين (٦) ، وقد رخص للرسول (ص) بارتدائها مكان الازار في عرفات في الاحرام (٧) . وقد لبس الناس الجباب ايضا وقد ورد عن الرسول (ص) انه لبس مرة جبة شامية واخرى جبة من صفوف (٨) ، كما ارسل اليه اكيدر دومة جبة من ديباج منسوج فيها الذهب (٩) وقيل عنه ان له ثلاث جبات يلبسهم في الحرب وجبة سندس اخضر (١٠). وقد لبس الناس الحلة وقيل انها ازار ورداء وقد كان الرسول (ص) يلبس حلة من بردان يمانيان منسوجان بخطوط احمر مع الاسود (١١) ورؤى مرة لابساً حلة حمراء اللون وحبرة (١٣).

(١) البخاري – الصحيح ح٧ ص ١٨٤
(٢) الاصبهاني – حلية الاولياء ح٥ ص ٣٦١
(٣) الترمذي – السنن ح٧ ص ٢٦٥
(٤) الاصبهاني – حلية الاولياء ح١ ص ٨٣
(٥) ابن القيم – زاد المعاد ح٢ ص ٣٥
(٦) ابن الأثير – اسد الغابة ح٢ ص٩٠
(٧) النسائي – السنن ح ٨ ص ١٨٢
البخاري – الصحيح ح٧ ص ١٨٦ باب السراويل
الطبرى – القرى لقاصد ام القرى ص١٦٢
(٨) البخارى – الصحيح ح٧ ص١٨٦.
(٩) ابن حجر – الاصابة في تمييز الصحابة ح١ص١٣١
(١٠) الديار بكر – تاريخ الخميس ح٢ص١٩١
(١١) ابن القيم – زاد المعاد ح٢ص٣٥
(١٢) ابن الاثير – اسد الغابة ح٣ص٤٩
النسائي – السنن ح ٨ ص١٧٩

ولكنه كان يكره لبس الحلة السيراء والاستبرق لاصحابه (١) ولعلها كانت موجودة ؛ وقد تردد ذكر للخميصة ، وهي كساء من صوف او خزلة علم ، وقد لبسها الرسول (ص) وللناس ايضا فمنها السوداء ومنها الحريشية وغيرها كما ورد ذكر الانبجانية وهي كساء غليظ لاعلم له (٢) .

ومن انواع الالبسة الاخرى ، القباء ولعله من الالبسة الاجنبية الصنع فقد جاء في الصحيح (ان النبي (ص) قدمت عليه اقبية فهو يقسمها ....) (٣) كما جاء في روايات اخرى (ان النبي (ص) لبس قباء مزرر بالديباج فجعل الناس ينظرون اليه) (٤) مما يدل ان هذا النوع من الالبسة لم يعتاده الناس حينئذ.

وكانت احب الثياب إلى رسول الله (ص) الحبرة وهي ثياب كتان يمنية مزينة (٥) وبطبيعة الحال كان يلبسها كثيرا (١) ولابد ان كثير من الناس كان يرتديها ايضا.

كما عرف الناس في هذه الفترة لبس البرد ، وورد عنه ايضا انه كان عليه مرة برد نجراني غليظ الحاشية (٧) كما جاء عنه انه كان متوسد بردة له في ظل الكعبة(٨)وجاء عنه انه كان يلبس برده الاحمر في العيدين والجمعة (٩) وكان (ص) اذا نام يتغطى برده الحضرمي الاخضر الذي اعطاه لعلي بن ابي طالب حين هاجر (١٠).

ومن الالبسة التي اعتاد الناس على ارتدائها الملحفة ، فقد لبس الرسول (ص) الملحفة المورسة – المصبوغة بورس او زعفران وخاصة عندما يذهب إلى نسائه(١١)وقد نهى الرسول (ص) الرجال عن ارتداء الالبسة الحريرية فقد جاء عن عمر قوله : (نهى رسول الله (ص)

---

(١) مسلم – الصحيح ح٣ص١٦٤٠.
(٢) البخاري – الصحيح ح ٧ص١٨٩ – ١٩٠
(٣) البخاري – الصحيح ح٧ص١٨٦ .
النسائي – السنن ح٨ص١٨١
(٤) ابن الاثير – اسد الغابة ح٤ص١٠٧ .
(٥) مسلم – الصحيح ح٣ص١٦٣٨
(٦) إبن الأثير – اسد الغابة ح٤ص٢٠٠
(٧) البخاري – الصحيح ح٧ص١٨٩
(٨) النسائي – السنن ح٨ص١٨٠
(٩) ابن سعد – الطبقات ح٢ص٢١٣ .
(١٠) ابن هشام – السيرة ح٢ ص١٢٦ .
(١١) البلاذري – انساب ح١ص٥٠٧ ابن قتيبة – عيون الاخبار ح ص٢٩٦

عن لبس الحرير الاموضع اصبعين) (١) ويبدو ان الثياب او الاقمشة المستوردة من خارج الحجاز كانت كذلك . كما نهى ايضا عن لبس القمي والمياثر الارجوانية وهي ثياب مستوردة ايضا من الشام ومصر فيها الحرير مضلعة اما المياثر فقيل انها وطاء يضعنه النساء على السروج ويكون من جلود السباع او الحرير او الديباج (٢) .

اما ما كان يسود الالبسة من القماش فهو القطن والكتان والصوف وهو ما كان يرتديه الرسول (ص) أيضا (٣) .

ويبدو من كلام سهل بن سعد الذي يقول فيه (كان عامة من يصلي خلف رسول الله (ص)اصحاب العقد ... لم يكن لاحدهم الا ثوب واحد كان يعقده على عنقه (٤). دليل واضح ان هناك فئة كبيرة من المسلمين كان مستواهم المعاشي منخفض يكتفون باللازم والضروري من الثياب .

وقد لبس الناس في ارجلهم النعال ويبدو انها اكثر من نوع فقد ورد ذكر النعال الناسومة (٥) والنعال السبتية (٦) كما لبسوا ايضاً الخفاف (٧) وهي ما طال من الاحذية :

الالبسة النسائية :

كانت المرأةالعربيةقبل الاسلامتهتم اهتماماً كبيراً بزينتها وانتقاء البستها من الحرير والديباج والدمقس والسندس والاستبرق والخز ووبر الارنب (٨) وكانت المودة حين جاء الاسلام تتميز باتساع جيوب ثيابهن وانكشاف صدورهن ، ولما جاء الاسلام للقضاء على العادات الاجتماعية المستهجنة فقد امر الرسول (ص) النساء ان يضربن خمورهن على جيوبهن(٩)

(١) الاصبهاني – حلية الاولياء ح ٤ص ١٧٦ .
(٢) البخاري – الصحيح ح ٧ص ١٩٥ .
(٣) البلاذري – انساب الاشراف ح ١ص ٥٠٧.
(٤) الاصبهاني – حلية الاولياء ح ٣ص ٢٥٢ .
(٥) ابن القيم – زاد المعاد ح ٢ص ٣٥ .
(٦) البخاري – الصحيح ح ٧ص ٩٨ : وهي النعال التي ليس فيها شعر .
الازرقي – اخبار مكة ح ١ص ٢٢٥ .
(٧) الاصبهاني – حلية الاولياء ح ٣ص ٩٠ .
(٨) عبدالله عفيفي – المرأة العربية في جاهليتها واسلامها ح ١ص ١٢٦ .
(٩) سورة النور آية ٣١ .
(٩) علي ابراهيم حسن – نساء لهن في التاريخ الاسلامي نصيب ص ١٣٩ .

لذا فأن البحث في نطاق البسة النساء يعتريه فراغ كبيرنسبة الى الالبسة الرجالية في هذه الفترة، ونقص المعلومات يعود إلى ان المرأة اصبحت متحجبة فلا تظهر زينتها أمام الناس :

وفي مقدمة الالبسة النسائية – الخمار – الذي يكون رقيقاً او كثيفاً (١) وهو ملون وفق ذوق المرأة فمنهن لبسنه اخضر (٢) او غرابياً اسود (٣) او غير ذلك .

اما اهم الالبسة النسائية فكان الازار وقد يلبسنه البعض فوق الجباب (٤) ويختلف ازار النساء عن ازار الرجال بأنه يكون اكثر طولا لأن الرسول (ص) رفض في جر الازار لهن لانه يكون استر لهن (٥)، ومن الالبسة النسائية الاخرى الدرع وهو جلباب شامل يحيط بدثارها ويكون ملوناً كالاحمروالاصفر والمعصفر (٦) وتقول السيدة عائشة (رض) انه (لابد للمرأة من ثلاث اثواب تصلي فيهن : درع وجلباب وخمار)(٧) ويبدو انه من الالبسة التي تستر الجسم اثناء الصلاة :

والملحفة من البسة المرأةايضاً وتكون ملونة منها المورسة ومنها المعصفرة (٨) والكساء أيضامن الالبسة النسائية ويصنع غالباً من الخز(٩)وقد لبس النساء الفراء المصنوع من جلد الحيوانات (١٠) ويلبس النطاق دون الدرع وهو ثوب تشده المرأة الى وسطها (١١).

ويبدو ان ارتداء الالبسة الحريرية كان جائزاً فقد ذكرت الروايات ان زينب وام كلثوم بنتي الرسول (ص) كان عليهما مرة برد صيراء من حرير (١٢) .

ولا بد ان كثيراً من النساء كن يرتدين الالبسة الحريرية ايضاً .

(١) ابن سعد – الطبقات ح٨ص٤٩

(٢) البخاري – الصحيح ح٧ص١٩٢ .

(٣) البلاذري – انساب الاشراف ح١ص٤١٤ .

(٤) ابن الاثير – اسد الغابة ح٥ص٥٢٨ .

(٥) النسائي – السنن ح٨ص١٧٧، الترمذي – السنن ح٧ص٢٣٩.

(٦) ابن سعد – الطبقات ح٨ص٤٧ – ٤٩.
عبدالله عفيفي – المرأة العربية ح١ص١٢٦.

(٧) ابن سعد – الطبقات ح٨ص٤٨.

(٨) نفس المصدر والجزء ص٤٩ – ٥١.

(٩) نفس المصدر والجزء ص٤٨ – ٤٩.

(١٠)نفس المصدر والجزء ص٤٩.

(١١)عبدالله عفيفي – المرأة العربية .

(١٢)ابن سعد – الطبقات ح٨ص٢٢ – ٢٥
النسائي – السنن ح٨ص٧٤

مظاهر الزينة :ـ

نلاحظ ان مظاهر الزينة عند الرجال اكثر وضوحاً منها عند النساء ـ اثناء البحث ـ لان المرأة كما ذكرنا كانت محجبة، ثم ان المؤرخين اوردوا لنا الكثير من الروايات عن الرسول (ص) والصحابة فيما يخص هذا المضمار.

وفي مقدمة هذه المظاهر عادة لبس الخواتم الذهبية والفضية، ويبدو لنا من الروايات ان الناس كانوا يتختمون بالذهب قبل الاسلام، وبعده عندما لبس الرسول (ص) خاتماً ذهبياً اقتدى به الناس فلما رأى ذلك نزعه ولبس خاتماً فضياً ونقش عليه محمد رسول الله وجعل فصه مما يلي كفه (١) وجاء عنه ايضاً انه كان يتختم بيمينه (٢) وفي رواية ان سبب اتخاذ الخاتم كان ادارياً لان الرسول (ص) ارسل كتباً إلى الملوك يدعوهم إلى الاسلام فذكر له انهم لا يقرأون كتاباً الا بخاتم فأتخذ خاتماً من فضه (٣) . وقد لبس كثير من الناس خواتيم الذهب ولكن الرسول (ص) كان ينهى عن لبس الذهب للرجال (٤).

ومن مظاهر الزينة الاخرى العناية بالشعر فان الرسول (ص) يقول : (اياكم والشعث ولو لم يجد احدكم الا زيتونة فليعصرها ويدهن بها) (٥). وكان ينصح اصحابه بترجيل وتمشيط شعرهم ودهنه (٦) وكان البعض يجعل له ظفيرتان او ذؤابات (٧)، ويستخدمون الامشاط المصنوعة من العاج في العناية بشعرهم (٨)، وكان الرجال في هذه الفترة يغيرون الشيب باستخدام الحناء (٩) ومنهم من يصبغ شعر رأسه بالكتم او بالاثنين معاً وهو نبات يخلط مع الحناء او الوسمة للخضاب الاسود (١٠).

---

(١) النسائي ـ السنن ج٨ص١٧١ .
(٢) الا بشيهي ـ المستطرق ج٢ص٢٧.
(٣) ابن الاثير ـ اسد الغابة ج١ص٦٢.
(٤) النسائي ـ السنن ج٨ص١٦٧.
(٥) ابن عبد ربه ـ العقد ج٣ص٢٨٦.
(٦) النسائي ـ السنن ج٨ص١٧٣.
(٧) ابن الاثير ـ اسد الغابة ج٣ص١٢٢ ـ ١٢٧ .
(٨) الديار بكر ـ تاريخ الخميس ٢ص١٥٢.
(٩) ابن الاثير ـ اسد الغابة ج١ص٩٧ ـ ابن قتيبة ـ المعارف ص١٣٥.
(١٠) البلا ذرى ـ انساب الاشراف ج١ص٢٢٤ ـ ٢٤١ .
الا بشيهي ـ المستطرق ج٢ص٢٧ ـ ٣٢ .

ولم يقتصر الخضاب على شعر الرأس وانما كان البعض يخضب لحيته بالحناء (١) ، ومنهم من كان يصبغها باللون الاحمر والاصفر بصبغة معينة وهو ما كان يستحسنه الرسول (ص) (٢) وكان البعض يخضبها بالزعفران ليلا ويغسلها نهارا فيكون لونها كالتبر (٣) او يصبغها بالوسمة (٤) وقد وردت احاديث عن الرسول (ص) ينهى فيها عن الخضاب بالسواد (٥) ولكنه كان ينصح بصبغ الشيب بالاصباغ الاخرى بقوله :(ان اليهود والنصارى لا يصبغون (اي لحاهم وشعورهم) فخالفوهم) (٦) . اما زي الوجه المتعارف عليه فأن القوم كانوا يحفون شواربهم ويعفون لحاهم (٧).

وكان الاكتحال بالاثمد من مظاهر الزينة الاخرى ويبدو ان ذلك كان سائداً بين الرجال حينئذ فقد جاء عن الرسول (ص) انه كان يكتحل (ولا تفارقه في سفره قارورة الدهن والكحل والمرآة والمشط) (٨) وكان الناس يكتحلون قبل النوم (٩) وكان الرسول (ص) يوصي باستخدامه لما له من نفع للعين (١٠).

أما استعمال الطيب فقد كان سائداً بين الرجال في هذه الفترة ، ويعتبر التطيب من علامات الفرح (١١) وعرف عن الرسول (ص) انه كان يحبه استخدامه فعائشة تقول عنه (كأني انظر إلى وميض الطيب في مفارق النبي (ص) وهو محرم) (١٢).

ومن انواعه المعروفة المسك والعنبر ، والغالية ، وكانوا ايضاً يتبخرون بالعود والكافور (١٣)

---

(١) النسائي – السنن ح٨ص١٦٢ .
(٢) ابن الاثير – اسد الغابة ح٥ص٥٦ ترجمة هداح الحنفي .
(٣) ابن قتيبة – المعارف ص١٤٩ عن جرير بن عبدالله .
(٤) البلاذري – انساب الاشراف ح١ص٦٥ ابن الاثير اسد ح١ص١٥ الحسن بن علي
(٥) مسلم – الصحيح ح٣ص١٦٦٣ .
(٦) مسلم – الصحيح ح٣ص١٦٦٣ الاصبهاني – حلية ح٢ص١٨٠.
(٧) البخاري – الصحيح ح ٧ ص ٢٠٦ النسائي – السنن ح٨ ص ١٥٨
(٨) الابشيهي – المستطرة ح١ص١٣٩ قول الحسن (رضي)
(٩) ابن الأثير – اسد الغابة ح٥ص٧٤ .
(١٠) الترمذي – السنن ح٧ص٢٥٩ الاصفهاني – حلية ح٣ص١٧٨
(١١) جواد علي – تاريخ العرب قبل الاسلام ٨ص٩٣ النسائي ح٢ص ١١٤
(١٢) البخاري – الصحيح ح٧ص١٩٩ .
(١٣) الديار بكري – تاريخ الخميس ح٢ص١٩٢

وكان (ص) يقول :(طيب الرجال ما ظهر ريحه وطيب النساء ما ظهر لونه) (١) .
ولكنه كان يكره الخلوق ويمنع اصحابه والناس من استعماله (٢).

واذا عدنا الى مظاهر الزينة عند المرأة في هذا العصر فنرى انها اغنى واكثر مما لدى الرجال لان المرأة بطبيعتها تميل الى الزينة ،وخاصة في مجال التحلي بالذهب ،رغم ما جاء عن الرسول(ص) في كراهية لبسه ، وخاصة اذا كان الهدف هو التفاخر والخيلاء ويبدو ان هناك جواز بالنسبة للنساء استثني المقطع كالخاتم والسن وغيره ويبدو من الروايات ان كثيراً من النساء كن يلبسن الذهب في هذه الفترة ، فعندما امر الرسول (ص) النساء بالصدقة قال ابن عباس : (رأيتهن يهوين الى آذانهن وحلوقهن) (٣) دليل على انهن كن يلبسن في آذانهن الاقراط الذهبية والخواتم والفتح الذهبية في اصابعهن (٤) وقلائد ومزبقيات الذهب في اعناقهن (٥) ، والاساور في ايديهن (٦) والخلاخيل في ارجلهن (٧) ولعل ان كراهية الرسول (ص) من التحلي بالذهب بسبب مناهضة المباهة والتفاخر بين النسوة حيث كان يقول لهن :
(يا معشر النساء اما لكن في الفضة ما تحلين اما انه ليس منكن امرأة تحلي ذهباً تظهره الا عذب به) (٨) ، وكانت القلادة التي تلبسها عائشة (رض) يوم غزوة المصطلق وحديث الافك والتي تأخرت عن الركب بسبب انقطاع مرصلتها وانشغالها بلقط خرزها مصنوعة من جزع ظفار(٩) (ولكننا نرى ان الرسول(ص) جوز لبس الذهب للأطفال من الإناث فارسل الى حفيدته خاتم ذهب لتلبسه (١٠) كما البس بنات اسعد بن زرارة رهاتا من تبر وذهب فيه لؤلؤ .

---

(١) النسائي – السنن ح٨ص١٣ .
(٢) البخاري الصحيح ح٨ص١٣١
(٣) ابن سعد – الطبقات ح٨ص٢، وص٩١.
البخارى – الصحيح ح٧ص٢٠٤
(٤) ابن سعد – الطبقات ح٨ص٣٤٣
(٥) ابن الاثير – اسد الغابة ح٥ص ٤٤٠
(٦) النسائي – السنن ح٨ص١٣٢ باب الظهار .
(٧) نفس المصدر ح٨ص١٣٥.
(٨) البلا ذرى – انساب ح١ص٣٤٢
(٩) ابن سعد – الطبقات ح٨ص١٩٩ .
(١٠) ابن حجر – الاصابة ح١ص٥٠

ومن مظاهر الزينة الاخرى عند النساء التطيب وقد جوز الاسلام للمرأة استخدام الطيب ولكن عليها اجتنابه فيما اذا احضرت الصلاة في المسجد (١)

وقد كانت عائشة تغلف رأسها بالمسك والعنبر في احرامها (٢) ، وكانت هناك امرأة في المدينة تبيع عطر للنساء (٣) واستعمل النساء الحناء في تغيير ايديهن واظافرهن للتميز بينهن وبين الرجال (٤) وكانت زوجات الرسول (ص) يتخذن عصائب من الورس والزعفران فيعصبن بها رؤوسهن اسفال اشعارهن وعلى جباهن) (٥) ولعل كثير من النساء كن يتزين كذلك.

وكانت النسوة يستعلمن الكحل في تزيين عيونهن، وقد قال الرسول (ص) مرة لعائشة : (مالي اراك شعثاء مرهاء سلتاء) (٦) والمرهاء التي لا تكتحل لذا يبدو ان استخدام الكحل كان وارداً بالنسبة للجنسين سواء الا اذا حزنت المرأة فحينئذ تتركه (٧) .

ويبدو ان عادة الوشم كانت موجودة قبل مجيء الاسلام لان نرى احاديث للرسول (ص) ينهى عنه بقوله (لعن الله الواشمة والمتوشمة) (٨) وقوله (لا تشمن ولا تستوشمن) (٩) .

والوشم هو تزيين الجلد بغرزه بابرة ثم يحشى بكحل او نيل فيخضر لونه .

مما تقدم نرى ان المجتمع العربي في عصر الرسالة الاسلامية قد اختار الجانب المثالي والمعتدل في الحياة، فقد نبذ الترف الذي كان سائداً قبل الاسلام والذي انحدر اليه العرب في العصر الاموي بعد الاسلام واتجه إلى الاعتدال والتعقل في الاختيار توافقاً مع المبادىء الالهية السامية التي اوحاها الله تعالى إلى نبيه محمد (ص) .

فقد اتجه الانسان العربي إلى العمل والجهاد ولم ينسى حظه من جوانب الحياة الاجتماعية الاخرى منذ اعطاها ما استطاع وما تستحقه منه وبذا تقدم واعطى للانسانية العطاء الكثير .

(١) النسائي — السنن ح٨ص١٣٢ .
(٢) ابن سعد — الطبقات ح٨ص٣٥٧
(٣) ابن الاثير — اسد الغابة ح٥ص ٤٥٢
(٤) النسائي — السنن ح٨ص١٦١
(٥) ابن سعد — الطبقات ح٨ص٣٥٤.
(٦) ابن عبد ربه — العقد الفريد ح٣ص٢٨٦.
(٧) ابن الاثير — اسد الغابة ح٥ص ٥٠٠ .
(٨) النسائي — السنن ح٨ص١٢٧
(٩) البخاري — الصحيح ح٧ص٢١٤ .

الابشيهي : — شهاب الدين محمد بن أحمد ابن الفتح الابشيهي المحلي :
٧٩٠ — ٨٥٠ هـ — مرا
المستطرف في كل فن مستطرف
مراجعة عبد العزيز سيد الاهل — ط القاهرة .

الالوسي : — محمود شكري الالوسي البغدادي
بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب
شرح محمد بهجت الاثري
الطبعة الثالثة — مصر — مطابع دار الكتاب العربي :

الاصبهاني: — ابو نعيم أحمد بن عبد الله ت ٤٣٠ هـ
خليفة الاولياء وطبقات الاصفياء
الطبعة الثانية ١٣٨٧ هـ — ١٩٦٧ م بيروت

البخاري : — أبو عبد الله محمد بن اسماعيل ١٩٤هـ — ٢٥٦هـ
الصحيح — مصر — محمد علي صبيح

البلاذري : — يحيى بن جابر
انساب الاشراف تحقيق محمد حميد الله
ط معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية

ابن الاثير : — عز الدين ابن الحسن علي بن محمد ت ٦٣٠ هـ
اسد الغابة في معرفة للصحابة
الطبعة الاسلامية بطهران — بالاوفست

ابن حجر : — أحمد بن علي الكناني العسقلاني ت ٨٥٢ هـ
الاصابة في تمييز الصحابة
طبع مصر ١٩٣٩

الجوهـري : ـ الصحاح في اللغة والعلوم
تقديم عبد الله العلايلي
طبع دار الحضارة العربية بيروت

ابن رستـة : ـ ابن علي أحمد بن عمر بن رستة
الاعلاق طبع ليدن ١٨٩١

ابن قتيبـة : ـ ابي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ٢٧٦ هـ
عيون الأخبار
ط دار الكتب

ابن القيـم : ـ ابن عبد الله بن القيم الجوزي ت ٧٥١ هـ
زاد المعاد في هدى خير العباد
طبع مصر ١٩٢٨

ابن سعـد : ـ محمد بن سعد
الطبقات الكبرى
ط ليدن

ابن منظـور : ـ لسان العرب ـ طبعة بيروت ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م
دار حياء الكتاب العربي بيروت

ابن هشام ، ـ السيرة النبوية : دار احياء الكتاب العربي بيروت
مطبعة مصطفى الباني

الترمـذي : ـ شرح الامام ابن العربي المالكي
المطبعة المصرية ١٩٣١ م

الديار البكرى : حسين بن محمد بن الحسن
تاريخ الخميس في أطوال انفس نفيس
مؤسسة شعبان ـ بيروت

عبد الله العفيفي : — المرأة في جاهليتها واسلامها —القاهرة ١٩٢١م

علي ابراهيم حسن : — نساء لهن في التاريخ الاسلامي نصيب — مصر — ١٩٧٠

جـــواد علـــي : — تاريخ للعرب قبل الاسلام ط المجمع العلمي بغداد

الطـــــــــبري : احمد بن عبدالله بن محمد بن ابي بكر محي الدين ت٦٧٤هـ
القرى لمقاصد ام القرى ط القاهرة ١٩٤٨ م

مســلـــــــم : — ابي الحسين مسلـم بن الحجاج القشيري النيسابوري
٢٠٦ — ٢٦١ هـ
الصحيح — تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي
ط مصر ١٩٥٥ م

النســائـــــي : — ابن عبد الرحمن بن شعيب
(٢١٤ — ٣٠٣هـ)
السنن : طبع مصر ١٩٦٤ م